الزمن الاستفهامي
في شعر بدر شاكر السياب

الدكتور طالب عبد الرحمن
كلية الآداب – جامعة الموصل

السيد هاني صبري علي
كلية التربية – جامعة الموصل

(١)
رؤية لغوية للزمن

كشفت الدراسات التي تناولت مشكلة الزمن في اللغة العربية عن شبه اضطراب ساد مثل هذه الدراسات ، ويبدو ان هذا الاضطراب قد جاء نتيجة لعدم استقرار هذا المفهوم دلالياً ، ونتيجة لما يولّده في البنية التركيبية للجملة العربية من ضلال وظيفية تكسبها قيما سياقية مضافة الى قيمتها الصرفية والنحوية.

ان هذا الفهم اللغوي ، قد أشتملته المفاهيم الفلسفية التي اتخمت فكرته بقيمة الوجودية ، فلا يخفى ما للزمن من اثر في نفسية الانسان ، لكونه يمثل الوجه الغيبي غير المتحقق ، الذي يثير الفزع حيناً ، أو يستدعي المناحي الاشراقية في النفس حيناً آخر ، لاغرابة ، إذن – ان يبقى الانسان في حالة تصالح دائمة مع الزمن ، سواء أكان في هذا التصالح استلهام للماضي المتوهج بوصفه حالة واقعة ، أم فيه استئناس بالحاضر المتجدد وربما كان فيه توثب مستديم إزاء حالة القدر ذلك الوجه المتحقق كرؤية مستقبلية للزمن الموهوم (١) .

(*) فصل من رسالة بعنوان «اسلوب الاستفهام في شعر السياب» نال بها السيد هاني صبري علي شهادة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الموصل في ١٩٨٩/١١/٢٣ ، وكانت باشراف الدكتور طالب عبد الرحمن .

(١) انظر الزمن في اللغة العربية عباس محمود العقاد ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢م ج١٤ ص٣٨–٣٩

والزمان في الاستعمال «يناوب الحين معرفاً ومنكراً ، حتى أُريد بالزمان ماأريد بالحين، وقد اجمع اهل اللغة على ان الزمان الطويل من شهرين الى ستة اشهر ، والأزمنة تنصرف الى الكل عرفاً وهو العمر وكذا الدهور والسنين»(١) و «باطن الزمان هو الدهر ، وفيه يتحد الأزل والابد» (٢)

والزمن الفلسفي ينظر الى الكون على انه دورات زمانية محدودة الامد (٣) فهو عنده «امتداد موهوم غير قادر الذات متصل الاجزاء» (٤) .

ولعلّ اوضح مايفرق بين الزمن بوصفه سياقاً لغوياً وبين الزمان بوصفه امتداداً فلسفياً هو «أن الزمان كمية رياضية ، من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة ، كالثواني والدقائق والساعات والليل والنهار والايام والشهور والسنين والقرون » (٥) وفيه تعبير عن الوقت يدخل في دائرة المقاييس ولا علاقة له بالحدث إلا علاقة يقصد بها تحديد ادق للزمن الذي يفيده» (٦) .

ويذهب بعض الباحثين الى ان الزمان «هو الذي يربط الزمن ماضيه وحاضره، وهو الذي يعبر عنه في الانكليزية بكلمة (Time) أما الزمن اللغوي، فهو الذي يعبر عنه في اللغة الانكليزية بكلمة (Tense)»(٧) وهو الزمن النحوي الذي

---

(١) الكليات ، ابو البقاء الكفوي ، ج٢ ص٣٣١

(٢) التعريفات ، السيد الشريف الجرجاني ، ص٦٢ .

(٣) انظر : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، د. احسان عباس ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨م ص٨٤ .

(٤) الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، ص٤٠٥ .

(٥) اللغة العربية مبناها ومعناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م ص٢٤٢

(٦) الزمن في النحو العربي ، د. كمال ابراهيم بدري ، دار امية للنشر والتوزيع ١٩٨٤م مطبعة التقدم ، ط١ ، القاهرة ص٢٣

(٧) انظر : تعقيب الدكتور كمال بشر على مقال العقاد (الزمن في اللغة العربية) ، ج١٤ ، ص٤٥ ، تعقيبات .

يستولده التركيب الجُمَلي لأساليب العربية وعلائقها الترابطية فـ«الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة او مانقل الى الفعل من الاقسام الاخرى للكلم كالمصادر والخوالف» (١) وبهذا نكون قد وضعنا حدوداً بين الزمن النحوي بوصفه زمناً سياقياً وتركيبيٌّه جملي والصيغ الزمنية الصرفية التي تدل بذاتها على معان وظيفية — صرفية ونحوية — لان الصيغة الصرفية «هيأة كلمة تنطوي على عنصرين ، الأصول والحركات ، أو على ثلاثة عناصر ، هي الأصول والحركات وأحرف الزيادة ، وتدل بذاتها على معان وظيفية صرفية ونحوية»(٢) وينبغي أن لانتوهم ان هناك حدوداً مغلقة بين الزمن السياقي والزمن الصرفي ، فغالباً مايمارس الزمن الصرفي دوراً سياقياً يكاد يكون مطابقاً لزمن الحدث الفعلي ، لان الصيغة الصرفية تقع خارج الاستعمال وداخله ، ونسمي الاول : النظام الصرفي ، ونسمي الثاني: النظام النحوي (٣)، لذا فان الحدود بين الزمن السياقي والزمن الصرفي، قد تكون واهية إن لم تكن غير موجودة اساساً فالزمن الصرفي يؤدي وظيفته الزمنية ، ذاتياً من غير تعكُّز على سياق الجملة ، لان الصيغة الصرفية ، الاصول الفعلية ، زمنها موجود فيها قبل دخوله في السياق الجملي ، اذن الزمن الصرفي هو زمن ذاتي في الصيغة المفردة والزمن السياقي يبدو في تضافر الصيغة الصرفية مع البناء التركيبي للجملة .

---

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ، د. تمام حسان ، ص٢٤٠

(٢) الصيغ الزمنية في اللغة العربية ، د. مالك يوسف المطلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، العدد (٢١٧/١٩٨٦م ، بغداد ، ص٨ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢)

الفعل والاقتران الزمني

يبدو أن فكرة الاقتران الزمني التي سادت الدراسات النحوية القديمة قد جاءت لتؤكد القيمة الوظيفية التي يمكن ان يلعبها الزمن في سياقه الفعلي ، عندما يحاول ان يتجاوز المدلول الانفرادي في الصيغة الصرفية للفعل الى مفهوم تكاملي يربط بين الزمن والحدث كقيم ادائية ، لان الافعال هي : « امثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء ، وبُنيَت لما مضى ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع»(١) ويتابع سيبويه موضحاً «فاذا قال ذهب، فهو دليل على ان الحدث فيما مضى من الزمان واذا قال سيذهب فانه دليل على انه يكون فيما يُستقبل من الزمان ، ففيه بيان مامضى ولم يمضِ منه، كما ان فيه استدلالاً على وقوع الحدث وذلك قولك قَعَد شهرين ، وسيقعد شهرين ، وتقول ذهبت أمس وسأذهب غداً» (٢) واضح جداً انه يشير صراحة الى العلاقة بين الفعل كحدث وبين زمنه المرتبط به اقترانياً ،فالفعل «مادل على معنى في نفسه مقترن بزمان»(٣) لكن الذي يمكن ان يثار في مثل هذه التوجهات هو انكار بعض النحويين لفكرة الزمن الاقتراني في فعل الحال ، لانه يفتقر في دلالته الزمنية الى فعل حدثي يبرز جانبه الأدائي ، فزمن الحال عندهم هو الزمن «المتكون في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج الى حيز المعنى والانقطاع ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأتِ وقته» (٤) .

---

(١) الكتاب –سيبويه ،ج ١ ص١٥

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ص٣٥ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذي . ج١ ص٣٩

(٤) الايضاح في علل النحو ، ابو القاسم الزجاجي ، تح ، مازن المبارك، مكتبة دار العروبة مطبعة المدني ، مصر ١٩٥٩م ص٨٧ .

وعلى ذلك فإن بعضهم يحد الفعل على انه «مادلّ على حدث وزمان ماض او مستقبل ، نحو قام يقومُ ، وقعد يقعُدُ وما اشْبه ذلك» (١) .

يلاحظ في هذا التعريف ان هناك تخصيصاً وظيفياً لفكرة الاقتران لان «أصل يَفْعُل ان يكون للحال ، وانه اوقع على المستقبل لضرب من التوسع وتسمية الشيء بما يؤول اليه» (٢) ثم يعود الزجاجي ليؤكد حقيقة الاقتران في فعل الحال عندما يقول : «ان فعل الحال هو المتكون في الوقت الماضي واولّ الوقت المستقبل » (٣) على سبيل التوسع ، فالحاضر غير موجود في الماضي ، بل هو يبدأ من حيث استقر الماضي ، وصار حدثه محكياً ، اذن ، فعل الحال ، هو الفعل الذي يكون حدثه قائماً في زمن التكلم- يذهب ابن عصفور الاشبيلي الى «ان زمن الحال لقصره يتعذر الاخبار عنه ، لانه الزمن المتوهّم الفاصل بين الماضي والمستقبل» (٤) فعنده ، ان زمن الحال لافعل له ، لانه زمن متوهم ، وربما كان عبد القاهر اكثر إدراكاً لابعاد هذا الفهم عندما يقرر : «أنك تريد بالحال اجزاءً من الفعل متصلة ، بيان ذلك ، أنا اذا قلنا : زيدٌ يُصلّي ، فالمراد انه قد حصل منه جزء وهو آخذ في جزء آخر متصل به ، ويترقب جزءاً تالياً يليه» (٥) .

ولكن ابن بابشاذ استطاع ان يورد لنا ادلة تثبت الزمن الاقتراني لفعل الحال فالافعال عنده «ثلاثةٌ ماضٍ ومستقبل ، ولا ماض ولا مستقبل ، وهو الحال ، فان الدليل على كونها ثلاثة ، السماع والقياس فالسماع قوله تعالى «لَـــهُ

(١) الايضاح في علل النحو ، ابو القاسم الزجاجي ، ص٨٧ —
(٢) المقتصد في شرح الايضاح ، عبد القاهر الجرجاني . ج١ ص٨٤ .
(٣) الايضاح في علل النحو ، لا بي القاسم الزجاجي ص٨٧
(٤) شرح جمل الزجاجي ، ابن عصفور الاشبيلي ، ج١ ص١٢٧
(٥) المقتصد في شرح الايضاح ، عبد القاهر الجرجاني ج١ ص٨٣ .

مّابيْنَ أيْدينَا ومَا خَلْفَنَا ومَا بَيْنَ ذلك» (١) والقياس «إنا وجدنا في كلامهم حرفاً لنفي المستقبل ، مثل لاولن ، وحرفاً لنفي الماضي مثل لَما ولَمْ وحرفاً لنفي الحال مثال (ما) ، فدل على ان الافعال ثلاثة كما ان الحروف الدالة على ذلك ثلاثة» (٢) . لذلك كان زمن الحال قائماً ، وحقيقته موجودة في فعله لاننا نستشعر فيه الماضي واقعاً والمستقبل منتظراً .

(٣)

الدلالة السياقية والزمن

لاريب أن علي بن سليمان الحيدرة كان مدركاً لدلالة السياق في زمن الفعل حينما راح يقسم الفعل الماضي على النحو الآتي : «الماضي ينقسم على ثلاثة ، ماض في اللفظ والمعنى مثل ، قام زيدٌ وقعد عمروٌ ، وماض في اللفظ دون المعنى مثل : إن قُمتَ قُمتُ غداً، فلفظه لفظ المضي ومعناه الاستقبال .وماض في المعنى دون اللفظ مثل: لَمْ يَقُم ولَمّا يُقُمْ أمس ، فلفظه لفظ المستقبل ومعناه المضي» (٣) ويفعل الشيء نفسه في الاستقبال . واما فعل الحال عنده «فلا ينقسم لانه حدٌّ مابين الزمانين» (٤) . ويزداد الحيدرة وضوحاً في توجهه السياقي عندما يذهب الى تعداد القرائن اللفظية والسياقية التي تخصص وجهة الفعل وزمنه حيث يقول (٥) : «ان الماضي يحسن اقترانه بأمس ويبنى آخره على الفتح ، اذا كان صحيحاً ، ولم يتصل به ضمير المرفوع . ويختص بحرفين هما : قد ولَوْ مثل : قد قَام أمْس ، ولَوْ قام أمس . فان دخل على مستقبل

---

(١) مريم / ٦٤

(٢) شرح المقدمة النحوية ، ابن بابشاذ ، ص١٣٢ .

(٣) كشف المشكل في النحو ، علي بن سليمان الحيدر ة اليمني مجلد١ ص٢٠٠

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) المصدر نفسه ص٢٠٢

كان معناه المضي مثل «قَدْ يعْلَمَ اللهُ المُعَوِّقينَ منْكُمْ » (١) . ويمكن ان نستشف في تقسيم القاسم ابن سعيد المؤدب توجهاً سياقياً ذا أصالة فهو يذهب الى ان «الماضي ثلاثة أنواع ، نصٌ وممثّلٌ وراهن ، فالنص ، ماوافق لفظه لفظ الماضي ومعناه معناه مثل قوله تعالى«ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلوكاً»(٢) والممثل ماكان لفظه لفظ الماضي ومعناه لمستقبل الزمان ومستأنفه مثل قول الله جلّ وعزّ «أتى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجلُوهُ » (٣) أي يأتي يوم القيامة أي هو قريب فلا تستعجلوه ، والراهن المقيم على حالة واحدة مثل قول الله جلّ وعزّ «وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديراً»(٤) الا ترى انه كان قديراً واليوم أيضاً هو قدير وبعد اليوم قدير» (٥) .

والمستقبل عنده (نوعان ، نص وممثل» فالنصّ ماوافق لفظه لفظ المستقبل ومعناه معناه ، نحو قولك يَضرِبُ زَيْدٌ غداً عَمْراً ، والممثّل ماكان لفظه لفظ المستقبل ومعناه الماضي وعائره وذلك قولك سرتُ أمس حتّى أدخُلَها أي حتى دخَلْتُها» (٦) والعائر عند ابن سعيد المؤدب هو المجرَّد و (سمي عائراً ، لانه عارَ اي ذهب ومنه قيل لحمار الوحشي عَبيْرُ لركوب رأسه ذاهباً في الفلاة» (٧) ومما يلاحظ في تقسيم ابن سعيد المؤدب اجتراحه لمصطلح الراهن ، الذي يأتي متوافقاً مع مايراه المحدثون في الفعل الذي يدل على الاستمرار ، في الوقت نفسه لايكون خالصاً لزمن معين وتستبين هذه الحالة

(١) الاحزاب / ١٨
(٢) النحل / ٧٥
(٣) النحل /١
(٤) الاحزاب / ٢٧
(٥) دقائق التصريف ، القاسم بن سعيد المؤدب ص١٧-١٩
(٦) المصدر نفسه ص٢٨
(٧) المصدر نفسه ص٢٧

عندما يكون الفعل دالاً على احدى الظواهر الطبيعية او الكونية او الغريزية او ان يكون الفعل مسنداً إلى الله تعالى (١).

وزعم السيوطي في الهمع : ان الماضي قد يوجهه السياق الى الحال «وذلك اذا قُصد به الانشاء كبعت واشتريت وغيرهما من الفاظ العقود» (٢) وعنده «ان الماضي قد ينصرف الى الاستقبال وذلك اذا اقتضى طلباً نحو غَفَرَ الله لك وعَزَمْتُ عليك ألا فَعَلْتَ ، أولَمَا فَعَلْتَ» (٣) كذلك قال : «ان الماضي بعد قد متوقّع» (٤) .

ومن القرائن السياقية التي اوردها عبد القاهر في المقتصد « السين وسوف وهما من دلائل الاستقبال فاذا قلت سيقرأ لم يجز ان يكون ملتبساً بالفعل وكان المقصود كان القراءة تحصل فيما يأتي من الزمان ، والدليل على ذلك انك لو قلت سيقرأ الآن لم يجز» (٥) ، وقد تبلغ الدقة الاقترانية في الزمن السياقي عند بعضهم ، ان يضع حدوداً دلالية بين هذه القرائن فابن الخشاب في المرتجل يرى «ان سوف أشد تنفيساً وأوسع زماناً من الزمان الذي تدل عليه السين وكلٌ مع ذلك للاستقبال » (٦) والزمخشري يعد (قد) حرف تحقيق وتقريب فهو يرى انها « تقرب الماضي من الحال ، إذا قُلْتَ قد فَعَلَ ، ومنه قول المؤذن ، قد قامت الصلاة» (٧) .

---

(١) انظر : معاني المضارع في القرآن الكريم ، حامد عبد القادر ، مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٦١م ، ج١٣ ، ص١٥١ .

(٢) ج١ ص٩ .

(٣) همع الهوامع ، السيوطي ، ج١ ص٩

(٤) المصدر نفسه ص٧٣

(٥) المقتصد في شرح الايضاح ، عبد القاهر الجرجاني ج١ ص٨٣

(٦) المرتجل ، ابن الخشاب ، ص١٥

(٧) المفصل في النحو ، الزمخشري ص١٤٨ .

وجملة القول ، إن التوجه السياقي للزمن الاقتراني في الجملة العربية قد بدأ يتسرب الى آراء النحويين منذ سيبويه ، ولو ان هذا التوجه ما كان في مقدوره الاستقرار على يقين ثابت لمفهوم الزمن لهذا رأينا ان هناك توجساً قد ساد مثل هذه الآراء ، فضلاً عن ان هذه الآراء كانت خاضعة — وفقاً للتقسيم المنطقي لاثر الفعل الدلالي ووجهته .

(٤)

الأداء الزمني للجملة الاستفهامية

معلوم ان الصيغة الصرفية التي تساهم في تكوين بنية تركيبية لجملةما ، تكون قد فقدت قيماً وظيفية مهمة من عناصر أدائها الانفرادي ، فالماضي في الاستفهام مثلاً ، قد يخرج زمنه الصرفي بوصفه وظيفة ذاتية الى جهات اخرى تحددها القرينة السياقية ، لان في الجهة «تخصيصاً لدلالة الفعل ونحوه ، أمّا من حيث الزمن ، وامّا من حيث الحدث ، فهناك جهات في اللغة العربية لتقييد معنى الزمن» (١) ، إذ ان من بين القرائن السياقية التي تحدد هذه الجهات ، الاداة الاستفهامية ، وهي التي تؤكد وجهة الحدث من خلال الاثر الذي تولّده في زمن الفعل كصيغة . وربما تطابق هذا الاثر في الصيغة الصرفية مع الاثر الزمني لتركيب البنية في الحيز الاستفهامي ، وبهذا تتوافق الدلالة الزمنية لجملة الاستفهام صرفياً ونحوياً ، ولكن هذا لاينبغي ان يعد قاعدة في اسلوب الاستفهام ، كما ذهب الى ذلك احد الباحثين المعاصرين في قوله : و «لعلّ الجملة الاستفهامية هي الوحيدة بين الجمل الانشائية التي تتوافق فيها دلالة الصيغة صرفياً ونحوياً على طول الخط ، فيدل فيها (فَعَل) على الماضي ، ويدل (يَفْعُل) على الحال

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ، د. تمام حسان ص٢٥٧ .

والاستقبال بحسب الضمائم والقرائن» (١) وهو لا يكتفي بهذا بل يحاول ان ينظر للمسألة من زاوية أخرى حينما يقول : «إن استعمال صيغة (يَفْعُل) للدلالة على الماضي مقصور على اسلوب النفي في الخبر والاستفهام» (٢) فهو يقوِّم الوجهة السياقية للزمن الاستفهامي وفق قرينة النفي ، وهي القرينة التي لايمكن ان تستقيم دليلاً لان في الشاهد القرآني أمثلة تدفع هذا الفهم وتدحضه نحو قوله : « كَيْفَ تَكْفُرون بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون » (٣) ففعل هذه الآية قائم وزمنها مستمر في الماضي والحاضر والمستقبل لان هذا الفعل البشري ينبغي ان لا يحدث في اي زمن كان ولعل من اكثر هذه الامور اثارة ان ينبري احد هؤلاء المعاصرين الى تجريد اسلوب الاستفهام من الزمن ، فهو يعلن ومن خلال الجداول التي وضعها لزمن اللغة العربية أنْ «لادخل للاستفهام في موضوع الزمن في اللغة العربية عدا موضعين ، الاول ، ويستفهم فيه عن صيغة (يَفْعُل) في الحاضر بالهمزة ، والثاني : ويستفهم فيه عن صيغة (يَفْعُل) في المستقبل بهل» (٤) . الظاهر ، ان النحويين قد وجهوا مسألة الزمن الاستفهامي توجيهاً يكاد يكون مغلوطاً لان دراستهم للنحو العربي عموماً ، لم «تنصرف الى وظيفة الكلمات الموضعية والمعنوية ووظيفة الجمل كتراكيب متكاملة ترمز الى دلالات ذاتية او زمنية او مكانية» (٥) .

---

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ، د. تمام حسان ص٢٤٨

(٢) المصدر نفسه ص٢٧٦

(٣) البقرة / ٢٨ .

(٤) الزمن واللغة ، د. مالك يوسف المطلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ص٣٠٩ .

(٥) الدلالة الزمنية للجملة العربية د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة– بغداد ، ١٩٨٤م ط ص١٢ .

بل ان هذه الدراسة بقيت تستلهم احكامها من علوم المنطق التي هي ابعد ماتكون عن الفهم العلمي لبنية النص العربي وسياقه التركيبي ، كما كان البحث النحوي عند عموم الاقدمين قد تجاهل الوظيفة السياقية للزمن الاستفهامي ، هذه الوظيفة التي يمكن لها ان تنشأ بين الفعل الاستفهامي ، واداته ، كقرينة حدثية تحدد وجهة هذا الزمن ، فان (هل) عندهم تحيل الدلالة الزمنية لفعل الحاضر الى المستقبل ، بناء على تصور سيبويه للعلاقة بين (هل) التي لاتأتي في الجملة الاستفهامية لغرض التقرير وزمنها السياقي فهو يرى ان :«هل ، ليست بمنزلة الف الاستفهام لانك اذا قلت : هَلْ تضرِبُ زيْداً ، فلا يكون أنّك تدّعي أنّ الضرب واقعٌ ، وقد تقول : أتَضْرِبُ زيْداً وانت تدّعي أنّ الضّرب واقعٌ» (١) فسيبويه يقرر ضمناً ان (هل) تدخل على الماضي ، لان في زمنه— اي الماضي— حدثاً تقرر وقوعه وانقضى امده . ويتابع ابن هشام سيبويه ،حيث قال «ان هل تخصص المضارع بالاستقبال ، نحو (هل تُسافر) بخلاف الهمزة نحو (أتَظنُّه قائماً) ، كما قال (وأمّا قول ابن سيدة في شرح الجمل :لايكون الفعل المستفهم عنه إلا مستقبلاً فسهو (٢) قال الله سبحانه وتعالى «فَهَلْ وجدتم مّاوَعَدَ رَبّكُمْ حَقّاً» (٣)

لذا فان ابن هشام يميل الى ان بامكان (هل) الدخول على الماضي فضلاً عن الحاضر والمستقبل . لان ظاهر كلامه يوحي بهذا ، ثم ان الشاهد القرآني الذي اورده قدجاء معززاً لمثل هذا الاتجاه من التفكير .

وربما دعم هذا الاتجاه ايضاً ، قوله تعالى في سورة الدهر «هَلْ أتَى عَلَى الإنْسَانِ حِيْنٌ من الدَّهْرِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورا» (٤) .

(١) الكتاب ، سيبويه ، ج٣ ص١٧٥-١٧٦ .
(٢) المغنى ، ابن هشام ، ج٢ ص ٣٥٠
(٣) الاعراف / ٤٤
(٤) الدهر /١ وللمزيد انظر : فاطر /٨ ، الاسراء/٤٠ ، يس/٥٢ ، البقرة /١١٥ ، الغاشية/١

وفي معاني القرآن يذهب الفراء الى ان (هل) في الاية معناها قد. اي انه يحمل الاستفهام في الاية محمل التقرير (١) . ويوافقه في ذلك ابو البركات الانباري ، حيث يؤكد في «البيان» ان الاستفهام في الاية بمعنى التقرير . وهو ((تقرير لمن انكر البعث ولابد من نَعَم ، فيقال له : من احدثه بعد العدم ، كيف يمتنع عليه اعادته؟)) (٢) . والتقرير عند بعضهم هو ((حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده)) (٣) . وهذا يؤكد ان الفعل في الاية فعل ماض لان حدثه قد وقع واستقر زمنه في الماضي . ولكن لابن جني رأياً يخالف فيه جمهور العلماء حيث يقول : ((ان قوله سبحانه وتعالى : هل اتى على الانسان حين من الدهر ، قالوا معناه ، قد أتى عليه ذلك)) ويتابع ابن جني ليقرر صراحة ((وقد يمكن عندي ان تكون مبقاةً في هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنه قال والله اعلم : هل أتى على الانسان هذا ، فلابد في جوابه من نعم ملفوظاً بها أو مقدرة)) (٤) ومهما يكن من امر فان هذا يدل على ان الماضي يدخل على الاستفهام سواء أكان هذا الاستفهام بلفظه ام كان بمعناه المتمثل في التقرير. ولان ((الاستفهام لايختص بالمستقبل ، بل يدخل على الماضي والحال والمستقبل)) (٥) ، فان الاقتصار على هل في دراسة الزمن الاستفهامي او دراسته بالتضافر مع الهمزة يعد إخلالاً بالمنهج التكاملي الذي ينبغي ان يسود اية دراسة تستهدف الكشف عن الجوانب الاشراقية التي تميز لغتنا من سواها . فالأدوات الاستفهامية الاخرى قد تتوافر على قرائن سياقية

---

(١) ج٣ ص٢١٣ .

(٢) البيان في غريب اعراب القرآن ج٢/ ص٤٨٠

(٣) الكليات ، الكفوى ج١ ص١٤٦ وانظر : المغني لابن هشام ج١ ص١٨ .

(٤) الخصائص ، ابن جني ، ج٢ ص٤٦٢ .

(٥) كشف المشكل في النحو ، علي بن سليمان الحيدرة ، مجلد١ الحاشية ص٢٠٣ .

تستطيع ان تحدد وجهة الزمن الاستفهامي وتخصص حدثه ، فقد جاء في الهمع ان ((ايان اذا اوردت في الاستفهام تختص بمستقبل ، فلا يستفهم بها عن الماضي كذا قال ابن مالك وابو حيان ولم يحكيا فيها خلافاً، واطلق السكاكي والقزويني في الايضاح كونها للزمان ومثّلاً بأيّان جئت ، وهو يُشعر بانها تستعمل في الماضي والصواب خلافه)) ويمضي السيوطي قائلا: إن ((متى اذا استفهم بها فانها يليها الماضي والمستقبل)) (١) ، كل هذا يؤكد ان الوقت مازال مبكراً للقطع في مسألة كهذه ، لان تأثيرات الزمن الاستفهامي قد بقيت تطفح بين الفينة والاخرى في آراء النحويين ، رغم الانحسار الذي عانته هذه الاراء ، ان الاشكال الذي يبديه الزمن الاستفهامي ناجم اساساً عن شحة المعلومات التي تناولت هذا الموضوع واضطرابها عموماً ، لذا فان آراءنا هذه لاتطمح ان تكون نظريات ثابتة ترسخ هذا المفهم ، ولكنها سعي مخلص يحاول ان يستكشف المكامن الابداعية للغتنا الجميلة ويؤصلها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٥)

تطبيقات

الزمن الاستفهامي في شعر السياب

الماضي : صيغته (فَعَل) وفعله ماض قد تقضى (٢) و ((اتى عليه . زمانان لأقلّ من ذلك ، زمان وُجد فيه ، وزمان خُبِّر فيه عنه)) (٣)

برزت تأثيرات هذه الصيغة واضحة في الجملة الاستفهامية عند السياب وقد توزعت هذه التأثيرات وفقاً لقرائنها السياقية على النحو الآتي :

---

(١) الهمع ج٢ ص٢٧

(٢) للموازنة ، انظر همع الهوامع ، للسيوطي ، ج١ ص٩

(٣) الايضاح في علل النحو ، ابو القاسم الزجاجي ص٨٧ .

١. الماضي البسيط : هو الماضي الذي ((لم يلحق بقرينة معنوية او لفظية تحدّد زمنه ، وعلى ذلك فزمنُه عام يستغرق الماضي من دون تحديد)) (١) .

ظهرت شواهد هذه الصيغة في الادوات :

الهمزة ، نحو قوله

أَأَبْصَرْتَ ابنَتي ؟ أَرأَيْتَها ؟ أَسَمعت ممشاها (٢)

وفي هل ، نحو قوله : هل ضاقت مثلي بالزمن

تقويما خط على كفني

ذرّات غُبار ؟ ؟ (٣)

ومنها قوله في (ما) :

لِمَ انتزع الزمنُ القاسي

من بين يديَّ ، وأنفاسي

يُمناكِ ؟ (٤)

وظهرت هذه الصيغة في (كيف) ايضاً ، نحو قوله : —

لَكِ اللهُ ، كيف اقتحمْتِ القرون ،ولَمْ يَخْبُ في وجنتيك الألق(٥)

---

(١) الدلالة الزمنية للجملة العربية ، د. علي جابر المنصوري ص٦٠

(٢) ديوان بدر شاكر السياب ، ج١/١٥٥ وانظر ، ج١/٩ ، ١٩ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٤٤٦ ، ٦٢٩ ، وج٢/١٨٤ ، ٣٦٢ ، ٣٨٣ .

(٣) ج١/٧٤ ، وانظر ج١/١٣٣ ، ١٨٨ ، ٤٥٩ وج ٢/١٤٦ ، ٤٨٠

(٤) ج ١/٧١ وانظر ج١/١٩٩ ، ٢٤٦ ، ٤٠٦ ، ٤٣٢ ، ٥٩٧ ، ٦٨٩ —

(٥) ج١/٢٠ وانظر ج١/٥٠ ، ١٧١ ، ١٩٨ ، ٢٥٣ ، ٣٦ ، ٦١٦ ، ٦٦٦ و ج٢/٢٤٢ ، ٤٦٢ ، ٤٩٨ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

ومنها في (كم) قوله: —

كَمْ ظلّ هُناك وكَم مَكثا
أَتُرَى عامًا أم عامين ؟ (١)

و (اين) نحو قوله :

وكانت أُمُّها الولْهى أَقلّ ضنى وأَوهاماً
من الأمّ التي لَمْ تَدرِ أَين مَضَيْتِ ؟ (٢)

٢. الماضي المستمر : وفيه يكون الحدث قد تحقق في الماضي واستمر تحققه الى اللحظة التي دار فيها الكلام (٣) — وشواهده في شعر السياب موزعة على الادوات الاتية :

(الهمزة) ، نحو قوله :

آه ..... زوجتي ، قَدَري ، أَكانَ الداءُ
ليُقْعِدني ، كأني ميتٌ سكرانٌ لولاها (٤)

بدلالة فعل السكون المساعد (٥) الذي ينهض مع قرينة التحقيق في لام التوكيد الداخلة على الصيغة الحدثية (يقعدني) للأيحاء بان الزمن الماضي وحدثه مستمران الى زمن التكلم.

و (هل) نحو قوله : —

(١) ج١/٤٤
(٢) ديوان السياب ج١/١٥٤ وانظر ج١/٠٤ ، ٣٦٢
(٣) في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية. صيدا ، بيروت ، ط١ ١٩٦٩م ص١٢٣ .
(٤) ديوان السياب ج١/٦٤٢ وانظر : ج٢/١١٦
(٥) انظر : الفعل زمانه وأبنيته ، د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة العاني. بغداد ١٩٦٦م ص٢٥ وفيها ان (العربية قد اتخذت من بناء كان فعلا دالا على الحدث غير مترشح للدلالة الزمنية الا اذا كان لصيق فعل آخر) .

هل كانَ يَنْفُض من نضالٍ كَفّه أو كانَ يَتْرُكُها على القيثارِ؟(١)

لقرينة (كان) المساعدة التي تستثير الحضور الاستمراري في الصيغة (ينفض) وفي (ما) ، قوله :—

لِمَ أَصبَحُوا يتجنبون لقاءها ؟ (٢)

بدلالة الفعل المساعد (اصبح) المتركب مع الحاضر (يتجنبون) (٣) ، وهي قرينة معنوية تؤكد استمرار الحدث الى الزمن الاني ، وربما كان الماضي المتركب مع الحاضر في الصيغة التي تثير استمرار الماضي ،ليس فعلاً مساعداً بل قد يكون تماماً ، وشاهده في الاداة (كيف) نحو قوله :

وكيف تركتك تبتعدين ؟ (٤)

٣. الماضي المتجدد : هو الزمن الذي((يقع الفعل فيه في الماضي ثم يتجدد وقوعه مرات في الماضي وينقطع)) (٥) ، أمّا شواهده في شعر السياب ، فقد جاءت في الهمزة ، نحو قوله :

أَوَتَذْكُرين لقاءَنا في كُلِّ فَجْرٍ

وفِراقَنا في كلِّ أُمسيةٍ ؟ إذا ماذابَ قُرْص الشَّمْسِ في البَحْرِ العَتِيِّ (٦)

لدلالة المعنى المتمثلة سياقياً في عدم انتظام الفعل الحدثي في صيغة (تذكرين) واستمراره لان هذا الفعل قد شابه انقطاع زمني على صعيد الحدث وقرائنه معنوية (فجر + لقاء ⇄ أمسية + فراق)

---

(١) ديوان السياب ج٢/٤٨٠

(٢) ج١/٥٣٢ وانظر ج١/٦٠٥

(٣) للوقوف على دلالة الزمن المركب انظر الفعل زمانه وابنيته د. إبراهيم السامرائي ، ص٢٥

(٤) ديوان السياب ج١/٧١

(٥) الدلالة الزمنية للجملة العربية ، د. علي جابر المنصوري ص٦١ .

(٦) ديوان السياب ج١/٧٢٣

وفي هل ، نحو قوله :

وهلْ بكيتُ أن تضعضع البناء
وأقفرَ الفناء أم بكيت ساكينه ؟ (١)

لقرينة القيمة الشرطية في (ان) المتواصلة مع الفعل الشرطي (تضعضع) فضلاً عن (أم) المعادلة التي تعين وجهة التجدد في الحدث الواقع في الزمن الماضي .

٤. الماضي القريب : والفعل فيه، يأتي دالاً على حدث تقرر وقوعه في زمن قريب من زمن التكلم ، وشواهده في الادوات :

الهمزة ، نحو قوله :

وهَلْ سألت الغَابرين ؟
أروضّوا أمسَ الخيول
أمّ نَحن بدء الناس : كلٌ تُراثنا أَنْصاب طين(٢)

للقرينة اللفظية في (أمس) التي تحيل الدلالة الزمنية في الماضي (روضّوا) الى زمن قريب من زمن التكلم . ولهذه الصيغة شواهد في (كيف) ايضاً ، نحو قوله:

قُصي عليها ، كَيْف مَات ، وقَدْ تضرَّج بالدماء
هو والسنابل والمساء (٣)

وقرينته اللفظية في (قد) التحقيقية الداخلة على الماضي وتضرج وهي قرينة تقريب بين الفعلين المتعاطفين (مات + تضرج) كما يؤكد ذلك السياق المعنوي ، لان الفعلين قد حدثا في وقت واحد .

٥. الماضي البعيد : وتتعين صيغته بـ (كَان فَعَل) وهي (تستعمل للدلالة على

(١) ج/١٤٤
(٢) ج١/٣٧٠-٣٧١
(٣) ج١/٥٢٠

ان الحدث وقع في الزمان الماضي البعيد)) (١) وشواهده في الهمزة ، نحو قوله :

أَمّا كُنْتُ ودَّعتُ تلك العيونَ الظليلاتِ والخصلة النافرة ؟ (٢)

القرينة السياقية ظاهرة ، في اجتماع فعل الكون المساعد مع الفعل الماضي (ودع) لان فعل الكون يحيل دلالة الماضي الى زمن ابعد من زمنه وقرينة هذه الصيغة في (من) تاريخية ، تعبر عنها قصة السيد المسيح عليه السلام ، كما في قول السياب :

مَنْ أيقظ (العازر) من رُقاده الطويلْ ؟ (٣)

٦. الماضي ، رغم قرينة الحضور : — وهيَ صيغة ، يكون لفظها الحاضر ودلالتها المضي ، والقرائن التي تحدد وجهة هذه الصيغة زمنياً سياقية ومعنوية ، نحو قول السياب في الهمزة : —

أَلَمْ تعلمي أَنَّ الثقوب نوافذٌ تُطالعُنا منها تَرانيمُ زامرِ؟ (٤)

وفق القرينة اللفظية ، في (لم) التي تحيل دلالة الحاضر الى الماضي زمنياً .

٧. الماضي المتواصل مع الحاضر : فعله مشتمل على زمن للتصور ممتد من الماضي الى الحاضر المتكلم فيه ، وتوزعت شواهده على الهمزة ، نحو قوله :

أَمّا سَئِمتَ من الآهات نُرْسلُها نَاراً ، وقلبُكَ منْ قلبي أَما سئما(٥)

وظهرت هذه الصيغة في (من) نحو قوله :

---

(١) الفعل والزمن . د. عصام نور الدين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٨٤م ص٦٧

(٢) ديوان السياب ج١/١٩ وانظر ج٢/٣٩٨

(٣) ج١/٤٦٥

(٤) ج٢/١٢٢ ، وانظر ج١/٧٢٣

(٥) ج٢/١٤٨

كأني أَشْربُ الدمَّ منْك ملْحاً ، ظَلَّ عَطْشاناً
مَنْ آستسقاهُ ؟ أَيْن هَواكِ ؟ أَيْن فُؤادُكِ العاري ؟ (١)

لدلالة فعل الطلب (استسقى) الذي يؤكد الطلب في الماضي وتحققه في الحاضر تشير الى هذا التحقق القرينة السابقة في الحاضر (اشرب)

٨. الماضي الراهن : فعله (مقيم على حالة واحدة) (٢) لايتغير بتغير الازمان ،

اما شواهده في شعر السياب فقد بدت موزعة على الهمزة ، نحو قوله :

فَمَ غُرورُ هذا الهالكِ الإنسان ، هذا الحاضرِ المشدود بالأجَلِ ؟
أَعُمِّرَ أَلف عامٍ ؟ ليته شَهِد الخَلائقُ وهي تَعْبُرُ شُرْفة الأزلِ ؟ (٣)

ان دلالة الصيغة الحدثية (عُمِّر) الاستمرار زمنياً ، ولكنها غير خالصة للماضي لانها تدل على حقيقة كونية لايمكن ان تتغير في جميع الازمان وصيغتهِ في (ما) ايضاً ، نحو قوله :

ماللنجومِ غَرِقْن من سأمٍ في ضَوْئهنَّ وكادتِ الشّهُبُ ؟ (٤)

لان الفعل (غرق) يدل على ظاهرة كونية ، لايمكن ان تتغير في الماضي او الحاضر او المستقبل .

٢. الحاضر: صيغته يَفْعُل وزمنُه ((متوهم فاصل بين الماضي والمستقبل)) (٥)

اما جهاته في جملة السياب الاستفهامية فقد توزعت على النحو الآتي :

---

(١) ج١/٢١١
(٢) انظر : دقائق التصريف ، لابن سعيد المؤدب ص١٩
(٣) ديوان السياب ، ج١/١٧٨ وانظر ، ج١/٥٠ ، ١٨٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، وج ٢/٣٧٣
(٤) ج١/٥
(٥) شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور الاشبيلي ، ج١ ص١٢٧ .

١. الحاضر البسيط : صيغته (يَفْعُل) وحَدَثُه قائم زمن التكلم (١) وظهرت شواهد هذه الصيغة في الهمزة .

نحو قول السياب :

وهزَّ حفّارُ القبورْ

يُمْناهُ في وجْهِ السّماءِ ، وصاح : ربِّ ! أَمَا تَثُور؟ (٢)

لان القرينة الحدثية في الفعل الاستفهامي (تثور) ، تدل على الطلب والطلب ، يتوجب الحضور الآني ، ففيه يسعى الحدث الى التحقيق .

ولها شواهد في (هل) نحو قوله : —

فَهَل أَستوقفُ الخُطواتِ ؟ اصْرُخُ : أيُّها الإنسان

أخيّ يأأنت ، ياقابيلُ ..... خُذْ بيدي على الفُمّة (٣)

لان المعنى في السياق ، ينصرف الى الزمن الحاضر ، وتأتي القرينة اللفظية (أصرخ كاشفة عن هذا الحضور . وصيغته في (ما) ايضاً نحو قوله :

لم يَملأْ الفرحُ الخفيُّ شعاب نفسي كالضّباب ؟

اليوم — واندفقَ السرورُ عليَّ يفجأُني — أعودُ ! (٤)

يؤكد ذلك سياق الجملة الاستفهامية والقرينة اللفظية في (اليوم) وربما انصرف

---

(١) للموازنة ، انظر : همع الهوامع ، للسيوطي ج١ ص٧

(٢) ديوان السياب : ج١/٥٤٦ وانظر ج١/٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٦٠٩ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٧ ، ج٢/١٢١ ، ١٤٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٢ ، ٥٢٨ ، ٥٤٨ ، ٥٥٧ .

(٣) ج١/٢٥٥ وانظر ج١/١٠١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٣٢٩ ، ٣٦٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٥٢٢ و ج٢/١٥٠ ، ١٨٤ ، ٤٣٢ ، ٥٣٩ .

(٤) ج١/٣٢٣ وانظر ج١/٢٦ ، ٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٤٥٢ ، ٥١٨ ، ٥٣١ ، ٥٥١ و وج٢/٤٨٠ ، ٥٠٢ ، ٥٥٨ .

الزمن الاستفهامي في شعر السياب الى الحاضر البسيط بدلالة السياق المعنوي فقط كقول السياب في (من) : —

ورِفاقُ يهوذا ؟! مَنْ سَيُصدِّق مازعموا ؟
قَدَمٌ ، قَدَمُ . (١)

ومنها في (كيف) قوله مخاطباً شبحٍ امه :

شبحاً . وكيف أَخافُ منه ومَا امّحتْ رغْم السنينْ
قسماتُ وجْهكِ من خيالي ؟ (٢)

ولهّا في (أَيْن) ايضاً شواهد ، منها قوله :

فارتمي .... أَيْن يرتمي صدرُهُ الجيّاش حُزْناً وحيرةً وانتظارا ؟ (٣)

٢. الحاضر المستمر ، حدثه قائم في زمن المتكلم ، ومستمر فيه وقد ((يؤدّي بصيغ : يظل، يمسي ، يضحى)) (٤) ، برزت شواهده في الهمزة ،نحو قوله :

أَأَظَلُّ أَحْلُمُ بالنُّعوشِ ، وأَنْفُضُ الدربَ البعيدْ؟ (٥)

بدلالة الفعل المساعد (أظل) الذي يوحي بالاستمرار في الصيغة الحدثية ذات الزمن الآني (احلم) وشواهدها في (هل) ايضاً نحو قوله :

هو الريفُ ، هل تبصرين النخيل ؟ وهذي أغانيه ، هل تسمعين؟ (٦)

---

(١) ج١/٤٦٠ ، وانظر ج١/٥٧ ، ٧٢ ، ٤١٩ ، ٥١٨ ، ج٢/١٠٤
(٢) ج ١/٦١٧ وانظر ج١/٦١٦ ، ٦٥٦ .
(٣) ج١/٦٠ وانظر ج١/٦ ، ج٢/٥٨٠
(٤) الدلالة الزمنية للجملة العربية ، د. علي جابر المنصوري ص٩٣
(٥) ديوان السياب : ج/١/٥٥٨ وانظر ، ج١/٩ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٥٥١ ، ٦٠٠ ، ٦٢٦ و ج٢/٥٢ ، ٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٥٣ ، ٥١٢
(٦) ج١/١٣ وانظر ج٢/٥٢٢

لان فعل الرؤية مستمر في صيغة (تبصرين) فضلاً عن قرينة الاشارة (هذي) التي تثير الحضور الاستمراري في الزمن النعلي. ولها في (كيف) شواهد، نحو قوله: —

مازلت أعرِفُ كيف أُرعشُ ضحْكتي خلَل الرداء

— إبّان خلعي للرداء — وكيف أرقُصُ في ارتخاء (١)

فالمعنى السياقي بأمكانه ان يولد هذا الفعل الاستمراري للزمن في صيغتي (أُرعش) و (أرقُصُ)، تؤكد ذلك القرينة اللفظية في (مازال) الحاضرة زمنياً والمستمرة فعلياً. اما في (ما) فلها شواهد ايضاً منها قوله:

ماذا أرى أدمى مسخّـرةً للمال يحشدُهُنّ قطْعانا ؟ (٢)

فالمعنى الحدثي لفعل الرؤية مستمر بدلالته الزمنية الحاضرة، لديمومة اثر هذا الزمان على صعيد المشاهدة.

٣. الحاضر الشروعي، صيغته (يَفْعُل) وحدثُه (بُدِيء العَملُ بهِ، ولمْ يزل زمن عمله مستمراً) (٣)، نحو قوله في الهمزة.

ألا تَشُدُّ يدٌ على كتفي، وأُوشك أنْ أراها (٤).

ان الزمن السياقي هنا ينصرف الى الحاضر غير المتحقق، الداخل في اول المستقبل لكن الدلالة الشروعية في القرينة اللفظية (اوشك) توحي بولادة هذا التحقق زمنياً.

٤. حاضر المقاربة: حدثه لم يقع بعد، ولكن وقوعه قريب مقرر، بفعل القيمة التقاربية للقرينة (كاد) وشاهده الشعري في الهمزة، نحو قوله:

أما تراني أكاد إنْ نَظَرت لي ذاتُ حُسْنٍ تُذيبُني الحُرَقُ؟(٥)

---

(١) ج١/٥٣٦، وانظر ج١/٦٨، ٢٨١، ٤٩٠، ٥٣٣ و ج٢/٥٤٨

(٢) ج٢/٥٤٩ وانظر ج١/٩، ٣١، ٣٩، ٤٧٠، ٥٢٠، ٦١٤، ٧١٨، ج٢/٣٩٢، ٥٢١، ٥٢٢.

(٣) الدلالة الزمنية للجملة العربية. د. علي جابر المصوري ص٦٤

(٤) ديوان السياب ج١/٤٤٦

(٥) ج ٢/١٧٨

لان القيمة التقاربية التي تمتلكها القرينة اللفظية (أكاد) تمنح الحدث الشرطي المتواصل بين فعل الرؤية في الصيغة (نظرت) وبين جوابها المتمثل في صيغة (تذيبني) حضوراً آنياً يكاد يقترب من زمن الحضور في صيغة (تراني) .

٥. الحاضر الراهن : حدثه قائم مستمر على حالة واحدة لاتتغير بتغير الازمان لذا فهو غير خالص لزمن معين ، نحو قول السياب في الهمزة :

(بالصبر) يُخْفي مخْلَبَيْـــهِ أَيُنْصَحُ الأغنامَ ذيْبُ ؟ (١)

هنا الفعل الاستفهامي (ينصح) يدل على حقيقة لايمكن ان تقع في كل الأزمان ولها شواهد في (هل) منها قوله :

أَثورُ ؟ أَغضبُ ؟

وهَلْ يَثورُ في حماك مذنبُ ؟ (٢)

القرينة هنا هي استحالة القيام بهذا الفعل الحدثي في الأزمان كلها وشواهدها في (ما) ايضاً ، نحو قوله :

لـم يَسقُطْ ظلُّ يد القَدَرِ

بين التلبين ؟ (٣)

ومن شواهدها في (مَنْ) قوله : —

أَودُّ لَو أراك مَنْ يراك ؟ (٤)

---

(١) ج٢/٥٢٣ وانظر ، ج١/٣٦ ، ٥٠ ، ١٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٢٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، ٥١٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٧ ، ج٢/١٦٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٥٠٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٨٨ .

(٢) ج١/١٣٦ وانظر : ج١/١٥ ، ١٣٥ ، ٢٠٥ ، ٢٤٨ ، ٣٢٣ ، ٤٥٤ ، ٦٩٦ ، ج٢/١٠٣ ، ٣٠٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨٧ .

(٣) ج١/٧١ وانظر ج١/٥٢٥ ، ٥٤٦ و ج٢/٣٦١ ، ٤٦٢ .

(٤) ج١/١٣٨ وانظر : ج١/٢٥٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤١٥ ، ٥٧٩ ، و ج٢/٧٦

لان الفعل في هذه الجملة مسند الى الله تعالى ، وفعله قائم في الازمان كلها اما في (كيف) فلها شواهد منها قوله :

....فَكَيْف يحسُّ إنسانٌ يرى قبرُه ؟

يراه وإنه لَيَحارُ فيه :

أحيٌّ هو أمْ ميتٌ؟ (١)

الجملة الاستفهامية ، هنا قرينتها الزمنية سياقية ، لان المعنى الدلالي للحدث الفعلي لايمكن ان يحدث في الماضي او الحاضر او المستقبل و (متى) ايضاً ، تمتلك شواهد شعرية في هذه الصيغة ، نحو قوله :

واحسرتاه ، متى أنامْ ؟

فأحسّ ، ان على الوسادة

من ليلك الصيفي طلاًّ فيه عطرُك ياعراق (٢)

لان الفعل الاستفهامي (أنام) يدل على ظاهرة طبيعية لايمكن ان تتغير بتغير الازمان . ومثل هذه القرينة السياقية في (أيان) ايضاً عندما تظهر فيها صيغة (الحاضر الراهن) الزمنية . نحو قوله :

نارٌ تُدْغْدِغها ، هو السّعفُ

منْ قريتي رعشتْ لدى النهر

خوصاته ؛ وتلين لاتدري

أيان تتقذف ؟ (٣)

---

(١) ج١/٣٩٤ وانظر ج١/٢٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٥٥٠ ، ٦٢٦ و ج٢/٣٨٦ ، ٥٦٧

(٢) ج١/٣٢٠ ، وانظر ج١/٤١٣

(٣) ج١/٦٤٨

٦. الحاضر رغم قرينة الماضي. صيغته (فَعَل) وفعلُه قائم زمن التكلم رغم ماتوحيه الدلالة اللفظية من زمن في (فَعَل) ، وشواهده وردت في الهمزة نحو قوله :

وياحديثك عن (آلاء) يَلْذ عُها
بعدى ، فَتَسألُ عن بابا (أَمَا طَابَا) ؟
أكاد أسمعها (١)

القرينة هنا معنوية ، تؤكدها القرينة اللفظية (أكاد أسمعها) التي تعزز الحضور السياقي الآني للفعل الاستفهامي الدارج (طاب) .

وظهرت هذه الصيغة في (هل) ايضاً ، نحو قوله

تقولين لي : (هل رأيت النجوم ؟
أأبصرتها قبل هذا المساء ؟
لها مثل هذا السّنا والنّقاء) (٢)

الزمن هنا يحتمل الحاضر بدلالة القرينة الزمنية المستمرة لفعل الرؤية في (رأى) و (أبصر) وتأتي القرينة السابقة في (تقولين لي) لتؤكد الحضور الزمني في الفعل الاستفهامي ، وقد تكون القرينة السياقية — في بعض الاحيان — فعلية ، وهي التي ، غالباً ، ما تمنح لافعال التركيب الاستفهامي بعداً زمنياً يجيء مخالفاً لدلالتها الصرفية نحو قول السياب في (كيْف) : —

كيف خلّفتم الدّيار الحبيبات؟ ألا لفتةٌ لتلك الدّيار ؟ (٣)

وربما ادى السياق هذه الوظيفة الزمنية بالتعاون مع القرينة الفعلية المساعدة في فعل الكون ، نحو قوله في (ما) : —

(١) ج١/٧٠٩ ، وانظر ج١/٩٩ ، ٦٤٠ ، ج٢/١٩١
(٢) ج١/٣٧٦ وانظر : ج٢/١٠٧ ، ١٣٤ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧
(٣) ج٢/٤٦٥

هي بطّةٌ ، فلِم انتفضتِ ؟ وما عساها أن تكون ؟ (١)

ثم ان هذه القرينة المساعدة قد تكون ظرفية اسمية ، نحو قوله في (من) : —

يا موت ... يا رب المخاوف ، والديناميس الضريرة

اليوم تأتي ؟! مَنْ دعاك ؟ ومَنْ أرادك ان تزوره (٢)

وقد تكون لفظية ، دالة على الحضور الاستمراري ، نحو قوله في (اين) : —

أنا ما أزال وفي يدي قَدحي يا لَيْلُ ، أين تفرّق الشّرْب(٣)

٧ — الحاضر المتواصل مع المستقبل : — صيغته (يَفْعَل) وحدثه ممتد من الحاضر إلى المستقبل غير المتحقق زمنياً ، من ذلك قول السياب في الهمزة :

أأثورُ ؟! أأصرخ بالأيام ؟! وهل يَجْدى ؟!

إنّا سنموت ، وسننسى ، في قاع اللّحد ؟

حبّاً يحيا معنا ويموت ! (٤)

تشارك السياق في هذه الدلالة الزمنية ، القرينة اللفظية في (السين) وهي تحيل زمن الحاضر إلى المستقبل . ان السياق الحدثي قد يمتد إلى المستقبل ، عندما يكون الفعل الاستفهامي خارجاً من بابه، داخلا في باب التمني. نحو قوله في(هل) : —

في سُكون المساء

هَلْ يعودُ الهوى من جديد ؟

عاهديني إذا عاد ... يا للعذاب ! (٥)

---

(١) ج١/٥١٩ وانظر ج١/٥٢٠ ، ٥٣٤

(٢) ج١/٤٥ وانظر : ج١/١٦٦ ، ٤٧٨ .

(٣) ج١/٥

(٤) ج١/٧٣ وانظر : ج١/١ ٣ د ٨٠ ، ٢٣١ ، ٢٧٥ ، ٦٠٥ ، ٦٦٥ و ج٢/٢٦١ ، ٤٤٥ .

(٥) ج١/٦٦ وانظر : ج١/٤١٩ و ج٢/٣١٧

وللحاضر المتواصل مع المستقبل شواهد في (ما) ، منها قوله : —

فَيَا عَوليس ، شاب فتاك ، مَبْسَمْ زوْجك الوهّاج
غَدا حَطَباً ، فَفيم تعود ، تفرى نحو أهلك أضلُع الأمواجْ ؟ (١)

حيث ان السياق المعنوي هو الذي يحدد وجهة الحدث الخارج من الحاضر إلى المستقبل ، فالدلالة المعنوية للفعل الاستفهامي (تعود) قد تقع الان او في المستقبل لانها منتفية في الماضي . وعليه قول السياب في (متى) : —

آه .....متى تعود ؟ (٢)

وربما انفرد السياق المعنوي للفعل الاستفهامي في تحديد وجهة هذه الصيغة، نحو قوله في (كيف) : —

وأَذكُرها ، وكيف (وجسمُها أَبقَى على جسمي
عَبيراً منه ، دفئاً غَلّف الأضلاعَ) أنساها ؟ (٣) .

وعلى هذه القرينة قوله في (من) : —

فَيَا آباءنا ، مَنْ يَفتدِينا ؟ مَنْ سيحيينا ؟ (٤)

٣ — المستقبل : —

صيغته (يفعل) ايضاً ،ولكن حدثه «لم يقع بعد ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلى الوجود» (٥) .

اما جهاته في شعر السياب فقد ظهرت موزعة على النحو الاتي :—

---

(١) ج١/١٧٩ وانظر : ج١/١٠٤
(٢) ج ١/٢٣٢ .
(٣) ج١/٦٦٥
(٤) ج١/٤٩١
(٥) الايضاح في علل النحو للزجاجي ص ٨٦—٧٧

١ — المستقبل البسيط : —

حدثه غير واقع وزمنه هارب من زمن الحضور إلى المتوقع غير المحدد (١).

نحو قوله في (الهمزة) : —

أما لَئِمْتَ وجْه غَيلانْ ؟ أنا الغريب
يكفيه لو لثمت غيـــلان (٢)

ان الفعل الاستفهامي هنا غير متحقق ، بدلالة القرينة اللفظية في (لَو) التي تخرج الفعل من حيزه الزمني إلى حيز المستقبل ومن شواهد هذه القرينة ، قوله في (هل) : —

ويَا مرضي ، قناعُ الموتِ انْت ، وهَلْ ترى لَو أسفر الموتُ
أخاف ؟ (٣)

ومنها ، قوله في (كيف) : —

وكيف لو أفقْتُ من رُقادي المخدَّرِ
على صدى الصُورِ ، على القيامةِ الصغيرة ؟ (٤)

وللمستقبل البسيط شواهد في (متى) ايضاً ، نحو قوله : —

يا ريحُ ، يا إبراً تَخيطُ لي الشراع ، متى أعودُ
إلى العـــراق ؟ ، متى أعـــودُ ؟ (٥)

فالحدث الاستفهامي غير واقع ، لدلالة التمني التي يثيرها السياق المعنوي .

(١) للموازنة ، انظر : كشف المشكل في النحو ، علي بن سليمان الحيدرة مجلد /١ ص٢٠٠ و دقائق التصريف للقاسم بن سعيد المؤدب ص٢٨

(٢) ديوان السياب : ج١/٣٠٢ وانظر : ج١/٣٥٧ ، ٥٥٠ ، ٦٩٠ .

(٣) ج١/٧٠٣

(٤) ج١/٢٢٠ وانظر : ج٢/١٣٣

(٥) ج ١/٣٢١-٣٢٢

ومن القرائن الاخرى التي تحدد وجهة الزمن السياقي ، في الفعل الاستفهامي ، القرينة اللفظية في (اذا) الشرطية ، وهي ظرف لمَا يُستقْبل من الزمان . نحو قوله في (ما) : —

سأشدو وأشدو ، فما تصنعين وإذا احمرَّ خدَّاكِ للأُغنيات؟ (١)

٢ — المستقبل القريب : —

فعله غير مستقر في الحاضر ، ولكنه قريب منه في المستقبل . وشواهد هذه الصيغة ، قد بدت موزعة في شعر السياب على الادوات الاتية :

الهمزة ، نحو قوله : —

أترى ستعرفُ ما سيُعرفُ ، كلّما انطفأ النهار ؟ (٢)

بدلالة القرينة السياقية في (السين) وهي قرينة تمتاز بقوتها في تحويل زمن الفعل من الحاضر إلى المستقبل القريب منه . وعلى هذه القرينة قوله في (مَنْ) : —

ومَنْ سيَموت : يُولمُ لَحْمَهُ فينا ؟ (٣)

ان هذه القرينة السياقية قد تكون ظرفية ، نحو قوله في (هل) : —

ولكني أَحنُّ ، فهل أَعودُ غداً إلى أَهلي ؟ (٤)

وربما اجتمعت القرينتان في سياق استفهامي واحد ، نحو قوله في (متى) : —

اليوم ؟ والغدُ ؟

متى سيَولَدُ ؟

متى سنُولَدُ ؟ (٥)

---

(١) ج١/١٦

(٢) ج١/٢٣٢

(٣) ج ١/٤٩

(٤) ج١/٦٩٠ وانظر : ج٢/٣٠٠

(٥) ج١/٤٦٧

وعليها قوله في (ما) : —

فماذا سأُهدِيْكِ يوم اللقاءِ ؟ وماذا سأُهدِيْكِ يوم النوى؟ (١)

٣ — المستقبل القريب المستمر : —

فعله غير واقع ، وزمنه يخرج من الحاضر إلى المستقبل القريب ويستمر فيه. نحو قوله في (كم) : —

..... ذاك عَدوُّك الزمن

تدور رحاهُ ... كم ستظلُّ تخفقُ ؟ ها هُمُ الأصحاب

ترابٌ منه تمتليءُ الدروب ، وتشربُ الدِمَن (٢)

فالقيمة الزمنية للفعل المساعد (ظلّ) بتآزره مع القرينة (سين) هي التي تثير الاستمرار في الفعل المتوقع (تخفق)

٤ — المستقبل البعيد : —

صيغته (يَفْعُل) وفعله متوقع يتواصل من الحاضر إلى المستقبل الممتد في زمنه . ولهذه الصيغة شاهد واحد في شعر السياب ، جاء في قوله : —

أَظَنَنْتَ أنّك سوف تقتَحمُ المدينة كالغُزاة ....

كالفاتحين ؟ وتشتريها بالذي مَلكَتْ يَداك (٣)

وقرينته معنوية ، بدلالة السياق الذي يحتم خلو الفعل الاستفهامي من صفة الوقوع . لعدم ثبوت الفعل اليقيني في (ظن) وتأتي القرينة اللفظية في سوف لتؤكد المدى الزمني للحدث .

---

(١) ج٢/٥٥٧

(٢) ج١/٢٣٣

(٣) ج١/٥٥٥

الجداول الزمنية لاسلوب الاستفهام في شعر السياب

الماضي الاستفهامي

جهاته /	أدواته	الهمزة	هل	ما	من	كيف	اين	كم
الماضي البسيط	٢١	١٣	٧	—	١٤	٣	١	٥٩
الماضي المستمر	٢	١	٢	—	١	—	—	٦
الماضي المتجدد	١	١	—	—	—	—	—	٢
الماضي القريب	١	—	—	—	١	—	—	٢
الماضي البعيد	٢	—	—	١	—	—	—	٣
الماضي رغم قرينة الحضور	٢	—	—	—	—	—	—	٢
الماضي المتواصل مع الحاضر	١	—	—	١	—	—	—	٢
الماضي الراهن	١٠	—	١	—	—	—	—	١١
المجموع	٤٠	١٥	١٠	٢	١٦	٣	١	٨٧

الحاضر الاستفهامي

جهاته/ ادواته	الهمزة	هل	ما	من	كيف	اين	متى	ايان	المجموع
الحاضر البسيط	١٥	١٣	١٢	٦	٣	٣	—	—	٥٢
الحاضر المستمر	١٢	٢	١١	—	٦	—	—	—	٣١
الحاضر المشروعي	١	—	—	—	—	—	—	—	١
حاضر المقاربة	١	—	—	—	—	—	—	—	١
الحاضر الراهن	٢٤	١٤	٥	٧	٨	—	٢	١	٦١
الحاضر رغم قرينة الماضي	٤	٥	٣	٣	١	١	—	—	١٧
الحاضر المتواصل مع المستقبل	٩	٣	٢	١	١	—	١	—	١٧
المجموع	٦٦	٣٧	٣٣	١٧	١٩	٤	٣	١	١٨٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المستقبل الاستفهامي

جهاته/ ادواته	الهمزة	هـل	مـن	مـا	كيـف	متـى	كـم	المجموع
المستقبل البسيط	٤	١	—	١	٢	١	—	٩
المستقبل القريب	١	٢	١	١	—	١	—	٦
المستقبل القريب المستمر	—	—	—	—	—	—	١	١
المستقبل البعيد	١	—	—	—	—	—	—	١
المجموع	٦	٣	١	٢	٢	٢	١	١٧

يلاحظ في هذه الجداول انها

١ — اهتمت بدراسة الجملة الاستفهامية الفعلية

٢ — اهتمت بدراسة الجملة الاستفهامية الاسمية ذات القرينة الفعلية

٣ — أهملت الادوات الاستفهامية (أي وأنّى)

٤ — أحصت الادوات الاستفهامية التي تكون صيغة زمنية واحدة

٥ — أحصت الصيغ الزمنية التي تولدها الاداة الاستفهامية الواحدة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی